تربية و تعليم الصبيان بالمغرب الإسلامي
في فترة العصور الوسطى من خلال كتب التربية و التعليم

*** د.الطيب بوسعد**

*** جامعة لونيسي علي - البليدة 2 -**

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع تربية و تعليم الصبيان (التلاميذ) في الكتاتيب (المدارس الابتدائية) بالمغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى، اعتمادا على المصادر التربوية المغاربية مثل» كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون» و «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين و أحكام المعلمين» للقابسي و «سياسة الصبيان و تدبيرهم» لابن الجزار و«المقدمة» لابن خلدون، و تعرض بحثنا - بالتحليل و النقد - للقضايا التربوية و التعليمية في المغرب الأدنى و عاصمته القيروان أنموذجا، كالمقررات الدراسية المعتمدة بالمدارس و واجبات المعلم و المتعلم و حقوقهما و المنظومة البيداغوجية المطبقة، مع إجراء المقاربة مع واقعنا التربوي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: التربية- التعليم- محمد بن سحنون- القابسي- ابن الجزار- ابن خلدون- كتاب آداب المعلمين- الرسالة المفصلة- سياسة الصبيان و تدبيرهم- المقدمة- العريف- التأديب- الكتاتيب- المساجد- العطلة – تعليم القرآن- اللغة العربية- الحساب- تعليم البنات- تعليم أهل الكتاب.

Résumé

Cette étude que nous venons de rédiger traite un sujet très important qui concerne l'éducation et l'enseignement des élèves dans les écoles primaires du Maghreb islamique au moyen âge, selon les sources éducatives maghrébines tel que « le livre des règles de conduites des maitres d'école » d'Ibn Sahnûn, ainsi que le livre « Epitre détaillée sur les situations des élèves, leurs règles de conduite et celle des maitres » d'El Qabisi, et le livre « la politique éducative des élèves » d'Ibn al Djazzar, sans oublier la « Moqadima » d'Ibn Khaldoun, notre recherche traite aussi les questions éducatives du Maghreb oriental, notamment sa capitale « Kairouan » tel que les programmes et les matières de l'enseignement ainsi que les devoirs du maitre et de l'élève et leurs droits et le système appliqué et de faire la comparaison avec notre milieu éducatif contemporain.

مقدِّمة

اهتم الإسلام بالعلم ودعا إلى تحصيله، فقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم مشيرة إلى العلم وفضله وداعية إلى القراءة والكتابة: «**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**» (سورة العلق، الآيات 5 – 1).

كما بيّن هذا المعنى في العديد من السور والآيات، التي تقدّر أهمية العلم وترفع من مكانة العلماء، مثل قوله تعالى: «**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**» (سورة الزمر، الآية 9) وقوله عزّ وجل: « **يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**» (سورة المجادلة، الآية 11) وقوله جلّ وعلا: «**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُواْ الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**» (سورة آل عمران، الآية 18).

وقد أوضحت السنة النبوية بدورها مدى عناية الإسلام والعلماء، فقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بداية الدعوة الإسلامية على طلب العلم وتحصيله، فقد ثبت قوله: «**غدوة في طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة**»، «**وطلب العلم فريضة على كل مسلم**»، «**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهّل الله له به طريقا إلى الجنة**» و «**إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلـم رضًا بما يطلب**» و قول الشاعر: «**كاد المعلم أن يكون رسولا**».

وأثناء غزوة بدر فرض النبي صلى الله عليه وسلم على كل أسير يجيد القراءة والكتابة أن يفدي نفسه، مقابل أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين بالمدينة.

وانطلاقًا من هذه الحقائق الواردة في القرآن والأحاديث، نتناول بالدراسة العلمية موضوع التربية والتعليم للأطفال في المغرب الإسلامي - المغرب الأدنى وعاصمته القيروان أنموذجًا - في فترة العصور الوسطى، اعتمادًا على المصادر المتخصصة في معادلة التربية والتعليم، معرّفين بأبرز العلماء الذين ألّفوا في هذا المجال منذ القرن 3هـ/9م ومرورًا بالقرن 4هـ/10م وانتهاء بالقرن 8هـ/14م، وفي هذا السياق ترجمنا لثلة منهم أمثال محمد بن سحنون وابن الجزار القيرواني والقابسي وابن خلدون، مستفيدين من المعلومات القيّمة التي حوتها مؤلفاتهم النادرة عن القضايا التربوية والتعليمية الهامة مثل المقررات الدراسية المعتمدة في «الكتاتيب» (المدارس الابتدائية)، إضافة إلى إبراز شروط وواجبات المعلم وحقوقه، وفي هذا السياق لم نعدم الإشارة إلى الممنوعات التي يجب على المعلم الابتعاد عنها أثناء قيامه بالتدريس، دون أن ننسى في هذا الشأن التنويه بحقوق المعلم.

ونحن ننقب عن المعلومات استوقفتنا الكثير من المسائل البيداغوجية الموجودة بين طيات الكتب التربوية التي نحن بصدد دراستها، فعملنا على جمعها وترتيبها ومناقشتها وإجراء المقاربة مع واقعنا التربوي والتعليمي في بلادنا عسى أن نستفيد منها جميعًا

كإطارات تربوية، وتوجنا دراستنا بالإشارة إلى الهياكل التعليمية المخصصة لتدريس الصبيان، والتي كان يطلق عليها في العصور الإسلامية إسم «الكتاتيب» وهي تماثل في عصرنا «المدارس الابتدائية».

ونأمل أن يتكلل جهدنا العلمي في هذا البحث المتواضع بالتوفيق وأن ينال رضا المهتمين بالشأن التربوي والتعليمي، محاولين تقديم الجديد في هذا المضمار.

1- بواكير النشاط التربوي والتعليمي في المغرب الإسلامي

اعتنى علماء المغرب الإسلامي بالتربية والتعليم، مع بواكير الفتوحات الإسلامية في هذه الفتوحات الإسلامية في هذه المنطقة الجغرافية من العالم الإسلامي، بفضل جهود الصحابة والتابعين، وتحت رعاية القادة والولاة وبتوصية من خلفاء الدولة الإسلامية بالمشرقة، ومن أمثلة ذلك:

- بعثة عقبة بن نافع الفهري إبان فتحه الثاني (64-62هـ/674-670م) والتي عيّن مها جماعة يعلّمون الناس القرآن بالمغرب الأقصى (أحمد الكنوني،1981،ج1، ص30).
- - بعثة حسان بن النعمان (81-73هـ/700-692م)، التي تتكون من 13 معلما، أشرفت على تعليم أبناء الكاهنة (يفرن - يزديان) أصول الدين وتحفيظهم القرآن الكريم (أبودياك، 1986، ص130)، كما أسس جامع الزيتونة بتونس وعرّب الدواوين (مؤسسات الدولة، مثل ديوان الجند وديوان الخراج وديوان البريد) وفي عهده دخل الصحابي الجليل سفيان بن وهب إلى القيروان في حدود سنة (78هـ/697م) وانتصب معلما في كُتّابها (أبو بكر المالكي، 1994، ج1، ص91) (مدرسة إبتدائية بمفهوم العصر).
- بعثة موسى بن نصير إبّان فتحه للمغربين الأوسط (جدّد بناء جامع تلمسان) والأقصى، ابتداءً من سنة (85هـ/704م)، والتي تتكون من 17 قارئًا من العلماء، أسند إليهم مهمة تعليم القرآن الكريم لسكان المنطقة (ابن عذاري، 2009، ج1، ص42).
- بعثة الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (101-99هـ/720-717م)، إلى بلاد المغرب الإسلامي، والتي تتكون من 10 فقهاء من جلّة التابعين - رضي الله عنهم – وكان مقدمها سنة (100هـ/718م)، وتمثلت مهمتها التعليمية بالقيروان في بناء المساجد كمراكز للعبادة ومؤسسات للتعليم، وحرص أعضاؤها على تلقين أبناء إفريقية علوم القرآن والفقه والسنن ودعوة البربر إلى الإسلام (ابن عذاري، 2009، ج1، ص48، المالكي، ج1، ص117-99).

ومثلت هذه البعثات العلمية الدعامة الأولى للعملية التربوية والتعليمية، في بلاد المغرب، حيث أسفرت عن ظهور عدد كبير من طلبة العلم المغاربة في مختلف التخصصات، أصبحوا لاحقًا علماء نابغين في مختلف العلوم النقلية والعقلية، أمام تزايد عدد المساجد

والكتاتيب والمدارس والربط، والقيام بالرحلات العلمية إلى المشرق للإستزادة في التحصيل العلمي، والإطلاع على المؤلفات في العلوم المختلفة والتتلمذ على شيوخ العلم، كل ذلك أدّى إلى تفتق المواهب، مما استدعى الاهتمام بطرح قضايا التدريس وأساليبه ومناهجه التربوية، بهدف إيجاد منظومة تعليمية متناسقة أشرف عليها ثلة من المفكرين في مجال التربية والتعليم مع توالي الزمن.

وفيما يلي نقتصر على التعريف بأبرز أعلام التربية والتعليم في المغرب الإسلامي مع الإشارة إلى كتبهم ومناهجهم البيداغوجية.

2- أعلام التربية والتعليم في المغرب الإسلامي

أ- محمد بن سحنون القيرواني (ت255هـ/869م)

ولد العالم الموسوعي والمفكر التربوي، محمد بن سحنون بمدينة القيروان سنة (202هـ/817م) تتلمذ على يد أبيه أولاً، الإمام سحنون بن سعيد (ت240هـ/854م)، صاحب المدونة الكبرى في الفقه المالكي، ودرس على علماء القيروان من رواد الفقه المالكي، أمثال موسى بن معاوية الصمادحي (ت226هـ/840م)، الذي له «كتاب فيه أحاديث في السنة والنهي عن البدعة»، ورحل إلى المشرق، بغرض الاستزادة في التعلم، حيث أخذ تحصيله الفقهي بالمدينة عن عبد العزيز بن يحي وأبي مصعب الزهري (المالكي، ج1، ص444-443، عياض، ج2، ص104 وما بعدها).

وتكللت جهوده الدراسية، بأن أصبح عمدة في المذهب المالكي باجتهاداته في الفقه والفتوى، وكان عالما بالحديث، في السنن والآثار وارتقى إلى مصاف الثقات في الرواية، ولم يألو جهده في الإحاطة بعلوم القرآن، والتاريخ، وأجاد فن المناظرة والرد على أهل البدع والضلالات، وظهرت علامات النبوغ في شخصيته العلمية، عندما تصدّر للتدريس تحت إشراف أبيه، وأراق المداد للتأليف، وبالتالي صدقت توقعات الوالد في فراسته وعبقريته، فقال فيه: «ما أشبهه إلا بأشهب» بن عبد العزيز، الفقيه المالكي المصري المتألق (الدباغ، ج2، ص124، المالكي، ج1، ص443).

وكان هذا النجاح العلمي، ثمرة جهود الإمام سحنون في تربيته وتعليمه، حيث ثبت قوله لمؤدب ابنه محمد: «لا تؤدبه إلا بالكلام الطيب والمدح، فليس هو ممن تؤدبه بالتعنيف والضرب واتركه على نحلتي فإني أرجو أن يكون نسيج وحده وفريد أهل زمانه...»، وكان يقول له: «يا محمد احذر أهل العراق، فإن لهم ألسنةً حِدادًا وإياك أن يغلط قلمك وتعتذر فلا يقبل عذرك» (عياض، ج2، ص105، الدباغ، ج2، ص124).

وعليه نستنتج أن ابن سحنون قد تربّى بين أحضان أسرة متعلمة، ومتفقهة في سياسة التربية التي تراعي سن التلميذ وانتهاج أسلوب الحكمة والليونة في التعليم وتحاشي استعمال الضرب والعنف ضد الطلبة، عكس ما تعرفه مؤسساتنا التربوية المختلفة في يومنا هذا (جمال معتوق وكريم شويمات، 2015، ص3-2).

ويبدو أن ابن سحنون قد عمل بنصائح أبيه لمعلمه، وليس أدل على ذلك من موهبته العلمية التي فاقت نظراءه، فهو العالم الموسوعي، الجامع لفنون العلم، ويكفي أنه ألف 200 كتابا حسب المصادر، حيث أكد القاضي عياض ذلك بقوله: «تفوق على علماء مكة والمدينة ومصر والعراق علمًا وتأليفًا... فكان من الحفاظ المتقدمين، والمناظرين المتصرفين (المجتهدين)، وكان كثير الكتب غزير التأليف في فنون العلم» (المالكي، ج1، ص443، عياض، ج2، ص105، الدباغ، ج2، ص123).

وفيما يلي نذكر أهمها اعتمادًا على كتب الطبقات والتراجم وفي صدارتها القاضي عياض في مداركه فهو أفضل من استوفى جمعها وترتيبها، فضلاً عن أمهات الفقه المالكي مثل كتابه «الأجوبة»: - كتاب «الجامع» وهو أكبر تصانيفه، جمع فيه فنون العلم والفقه، ويقع في أكثر من 100 جزء، 20 في السير و 25 في الأمثال و 10 في آداب القضاة و 05 في الفرائض و 04 في التاريخ والطبقات، والباقي في فنون العلم الأخرى.

- كتاب المسند في الحديث وكتاب غريب الحديث.
- كتاب تفسير الموطأ.
- كتاب أحكام القرآن.
- كتاب في الرد على الشافعي وعلى أهل العراق وكتاب الأشربة.
- كتاب الحجة على القدرية.
- كتاب الحجة على النصارى.
- كتاب طبقات العلماء.
- رسالة في أدب المناظرة.
- كتاب آداب المعلمين (محقق ومطبوع).
- كتاب الأجوبة (محقق ومطبوع) (عياض، ج2، ص106-107).

ويشير المالكي والدباغ إلى كتاب نفيس، ألفه محمد بن سحنون، وأظنه في النظم السياسية، بعنوان «كتاب الإمامة»، وصل إلى مصر والعراق (بغداد) وكتب بماء الذهب وأهدي إلى الخليفة العباسي، لم يذكر اسمه (المالكي، ج1، ص445، الدباغ، ج2، ص127)، وإذا علمنا بأن رحلته العلمية إلى المشرق قد تمت سنة (235هـ/849م) (الدباغ، ج2، ص122) نرجح بأن الخليفة الذي استلم هذا الكتاب كهدية هو المتوكل على الله بن المعتصم (247-232هـ/861-846م) (بوسعد، 2003، ص631).

ويعد كتاب آداب المعلمين لمحمد بن سحنون من أقدم كتب التربية، حيث ألفه سنة (226هـ/ 840م) اعتمادًا على أبيه الفقيه المالكي الرائد، سحنون بن سعد، حسب الباحث د. محمد أسعد طلس الذي وصف كتابه بالبراعة في رسم سياسة الأطفال وتعليم الصبيان

وتأديبهم وإرساء قواعد التربية وآدابها عند المسلمين (أسعد طلس، 1957، ص183-182)، وبذلك سبق العديد من المفكرين المسلمين في هذا المجال، والكثير من علماء التربية المتأخرين قد أخذوا عنه وتأثروا بأفكاره منهم القابسي وابن الجزار وأبو حامد الغزالي وابن خلدون.

وقد لخص ابن سحنون العملية التربوية في محاور الكتاب، والتي تتمثل فيما يلي:

1- ما جاء في تعليم القرآن الكريم.
2- ما جاء في العدل بين الصبيان.
3- باب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى وما ينبغي أن يفعل من ذلك.
4- ما جاء في الأدب وما يجوز من ذلك وما لا يجوز.
5- ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم.
6- ما جاء في القضاء بعطية العيد.
7- ما ينبغي للمعلم أن يخلي الصبيان فيه.
8- ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان.
9- ما جاء في إجارة المعلم ومتى تجب؟!
10- ما جاء في إجارة المصحف وكتب الفقه وما شابهها (ابن سحنون، 1981، ص-93 69، بوعقادة، 2011، ص226-228).

ويعتبر هذا الكتاب بمثابة برنامج شامل وكامل في ميدان التربية والتعليم، وبفضله، اعتبر المغرب الإسلامي رائدًا في حقل الدراسات التربوية بتحقيقه لقصب السبق في التخصص، وبخاصة مدينة القيروان قرارة هذا المفكر التربوي المغاربي.

دون أن ننسى المفكرين الغربيين الذين اعتنوا به وعمدوا إلى ترجمته إلى العديد من اللغات الأجنبية، الإنجليزية والفرنسية (معتوق، 2015، ص5-4)، وظهرت بشأنه اهتمامات بدراسة مكنونات منظومته التربوية (Gérard Lecomte, 1953)، قام بها كل من Rabelais ومونتاني Montaigne وروسو Rousseau (معتوق، ص4).

ب- أبو جعفر أحمد ابن الجزار القيرواني

هو أبو جعفر أحمد بن أبي خالد، المعروف بابن الجزار، ولد بالقيروان في حدود سنة (285هـ/ 898م)، طبيب وصيدلاني، يعد ثالث الأطباء من أسرته، حيث كان والده طبيبًا وكذلك عمه أبو بكر، كما أنه مهتم أيضًا بالتاريخ، والأهم في هذا المقام أنه قد خاض في الفكر التربوي، ويعتبر ابن الجزار نتاج مدرسة القيروان، فلم يثبت أنه رحل إلى المشرق، وكان قد همّ بالرحلة إلى الأندلس ولم يطأها، ولذلك أخذ علم الطب عن الطبيب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي بالقيروان، فضلاً عن تتلمذه على عمه وأبيه (ابن أصيبعة، 1965، ص487، Ben M'rad, 1983, p44-45).

وقد ألف ابن الجزار العديد من الكتب، معظمها في الطب وبعضها في التاريخ والجغرافيا، وبين طيات كتابه سياسة الصبيان وتدبيرهم - وهو في طب الأطفال - تحدث عن التربية والتعليم للصبيان، وأهم كتبه:

- زاد المسافر وقوت الحاضر في الطب.
- طب الفقراء والمساكين.
- طب المشائخ وحفظ صحتهم.
- الاعتماد في الأدوية.
- سياسة الصبيان وتدبيرهم.
- تاريخ الدولة.
- التعريف بصحيح التاريخ.
- طبقات القضاة.
- مغازي إفريقية.
- عجائب البلدان في الوصف الجغرافي (ابن الجزار، 2009، ص31-44).

إن أغلب محاور كتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار، في طب الأطفال، إلا أنه خصص الباب 22 للغرض التربوي وعنوانه «الأمر في تأديب الأطفال»، وفيه يتحدث عن الإدارة التربوية للأطفال والتي أطلق عليها مصطلح السياسة ومعناها حسن التدبير والتهذيب والأدب والإصلاح، فالأدب عنده، ينتقل من «الطبع المذموم إلى الطبع المحمود»، وركّز على أساليب الليونة في تأديب الأطفال وفسرها بيولوجيا ونفسيا، لأن الصغير أسلس قيادة وأحسن مواتاة وقبولاً (ابن الجزار، ص136 وما بعدها).

وقد ركز ابن الجزار في التربية على المربي صاحب الخبرة والتجربة، والمثقف، ومناط التربية عنده صلاح الزوجين، ثم التعهد برعاية الطفل منذ ولادته بالتحنيك والتحنيط والحلق والرقية والآذان وقطع السرة، ثم توضيب فراشه وتحضير غذائه ورضاعته.

وفي التربية والتعليم يركز أيضا على ضرورة مراعاة اختلاف أمزجة الصبيان واتباع سياسة الترغيب والترهيب، والضرب عنده آخر الحلول ويكون مهذبًا وخفيفًا (ابن الجزار، ص138-137-136، بوعقادة، ص336، بوسعد، ص567-554 وما بعدها)، واختلف المؤرخون في تحديد وفاة ابن الجزار والراجح أنه قد مات سنة (369هـ/979م) بالقيروان مسقط رأسه.

ج- أبو الحسن علي القابسي

هو أبو الحسن علي بن محمد بن مخلوف القابسي الذي عاش ما بين (403-324هـ/1012-

935م) بالقيروان، حذق الفقه وخاض في الفلسفة وألم بعلم الحديث وتفوق فيه (علله ورجاله)، وسمع كتاب البخاري من أبي زيد المروزي ثم جلبه إلى بلاد المغرب الإسلامي وتحديدًا إلى إفريقية وعاصمتها القيروان، وهو إلى ذلك من المربين البارزين، تلقى علومه عن شيوخ القيروان منهم أبو العباس الإبياني (صاحب كتاب مسائل السماسرة)، ولم يألو جهده في الرحلة إلى المشرق والدراسة على علمائه، وقد بلغت مؤلفاته 15 كتابا ذكرها عياض في مداركه وهي كلها في الفقه والحديث إلا كتابين في التربية والتعليم، وأهم عناوين كتبه: ملخص الموطأ - المهذب في الفقه - كتاب الاعتقادات - كتاب رتب العلم وأحوال أهله - أحكام المتعلمين والمعلمين (القابسي، 1986، ص8-7، عياض، ج4، ص618-615، أبو عمران، 1995، ص428).

وقد اجتهد في كتابه «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين»، إذ بيّن المنهج التربوي المناسب، معتمدًا في تأكيد فكرته على الأدلة الشرعية المستمدة من الآيات القرآنية والمستنبطة من الأحاديث النبوية والمأخوذة من آثار الصحابة والتابعين، والملفت للنظر أن مادته العلمية الثرية والخصبة قد اعتمد في أغلبها على رائد المدرسة التربوية في القيروان خلال ق 3هـ/9م، محمد بن سحنون القيرواني، وصدّر كتابه بذكر فضائل القرآن وأكد على الاستقامة في المربي والذي يجب أن يتحلى بالأخلاق الكريمة المرتكزة على مبادئ الإسلام، ثم يعرج على إبراز فضل من تعلم القرآن وعلّمه، ويذم من تغافل عن القرآن وتخلى عن مسؤولية تعليمه، وينوه بدور الوالدين في النهوض بمسؤولية تعليم الأبناء وضرورة الإنفاق عليهم دون إهماله للعلوم الأخرى (العربية - الشعر - الحساب - أيام العرب)، وأكد على ضرورة تعليم المرأة مع مراعاة منع الاختلاط ونبذه وتجنيب البنات تعلم الشعر والترسل خشية ميلهن إلى هواجس النفس وعواطف القلب (شعر الغزل وتبادل مراسلات الحب مع الطلبة الذكور).

وركز على قضية الرفق في تعليم الصبيان واللين في زجرهم وردعهم أي التخفيف من العقوبة واللجوء إليها عند الضرورة وبعد استنفاد الحلول التربوية وتكون عند التهاون في أداء الواجب من كتابة وحفظ أو سوء أدب أو اعتداء على أحد الزملاء، واسترسل في حديثه عن مواد التدريس وناقش مسألة إعطاء الأفضلية لبعض العلوم على أخرى أو المزج بينها أو مراعاة التقديم والتأخير (القابسي، ص59-141).

د- عبد الرحمن بن خلدون

ولد بتونس سنة (732هـ/1232م)، نسبه العربي، يمني حضرمي، ودخل والده - خلدون - بلاد الأندلس مع الجيش الإسلامي واستقر بإشبيلية.

حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع ودرس الحديث والفقه وتلقى علوم اللغة العربية على والده، ثم تضلع في العلوم العقلية (الفلسفة مثلا)، وحذق فن الخط والكتابة مما أهله

للتأليف وتقلد المناصب الإدارية، فكانت نشأته وتعليمه بتونس.

تقلب ابن خلدون في الترحال عبر بلدان المغرب العربي والأندلس، حيث نزل بفاس سنة (755هـ/1354م) لدى السلطان المريني - أبو عنان - وعيّنه كاتبا، ثم زار الأندلس وأقام في بلاط ابن الأحمر حاكم غرناطة وجمعته صداقة مع وزيره لسان الدين بن الخطيب، وكان ذلك في حدود سنة (765هـ/1363م) ولما ساءت علاقته بابن الخطيب قرر العودة إلى بلاد المغرب ومرّ على مدينة تلمسان سنة (776هـ/1374م) وعكف هناك على التدريس واستخدم كوسيط دبلوماسي لدى دولة بني زيان.

وأخيرًا عزف عن متاعب السياسة وتفرغ للبحث العلمي، حيث قضّى أربع سنوات في قلعة بني سلامة بتيهرت (تيارت اليوم) خلال الفترة الممتدة بين (780-777هـ/1378-1375م)، وبها ألف كتابه الشهير «المقدمة»، ورحل إلى تونس سنة (780هـ/1378م) بغية استكمال بحوثه العلمية.

وبعد ذلك عزم على الرحيل إلى المشرق لأداء فريضة الحج سنة (782هـ/1382م) ونزل بالإسكندرية لدى السلطان المملوكي الظاهر بن قلاوون، ثم طاب به المقام بمدينة القاهرة - حاضرة الدنيا وبستان العلم -، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر والمدرسة الأيوبية، ثم تولى سلطة قضاء المالكية سنة (786هـ/1384م)، وبينما كان ينتظر التحاق أسرته به من تونس أفجع بخبر غرقها في عرض البحر المتوسط وعبّر عن محنته بقوله: «ذهب الموجود والسكن والمولود» ومال إلى حياة الزهد وأعفي من القضاء وتفرغ للعبادة والعلم والتدريس إلى أن وافته المنية بالقاهرة في 25 رمضان من سنة (808هـ) الموافق لـ (17 مارس 1406م) (علي علواش، 1995، ص196-192).

وقد ترك عبد الرحمن بن خلدون تراثا علميا زاخرًا بالنظريات العلمية في التاريخ وعلم الاجتماع (علم العمران البشري) واقتحم مجالات علمية أخرى لا تقل أهمية ومنها التربية والتعليم، كما ألف العديد من الكتب مثل كتاب العبر في التاريخ والذي صدّره بمقدمته المشهورة، دون أن ننسى كتابه الرحلة المنسوب إليه (حققه الباحث المغربي محمد بن تاويت الطنجي) (علي علواش، ص196).

ويعتبر ابن خلدون من العلماء المتأخرين - من خلال الفترة الزمنية (ق 8هـ/14م) -، الذين تكلموا عن التربية والتعليم بأسلوب تحليلي ونقدي صادر عن خبير بالمجتمع المغاربي وقد استرسل في هذه القضايا في كتابه «المقدمة» ومن مقولاته التربوية «إن الإنسان قد شاركته جميع المخلوقات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء... وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه مع أبناء جنسه والاجتماع المهيئ لذلك التعاون... فهو مفكر في ذلك كله»، وحيث أن هدف الرسالة الإسلامية هي العناية بالإنسان، وجب ألا يكون ذلك إلا بالتربية والتعليم، «لأن حسن الملكات في التعليم

والصنائع تزيد الإنسان ذكاء في عقله وإضاءة في فكره بكثرة الملكات الحاصلة في النفس» (ابن خلدون، ج1، ص416-412، بوعقادة، ص320-319).

وبعد أن فصل ابن خلدون حديثه عن العلوم المختلفة، النقلية والعقلية، خصص بابًا للتربية والتعليم سماه «الفصل التاسع والثلاثون في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرقه».

وحدّد فيه مناهج بلاد المشرق والمغرب وإفريقية (تونس اليوم) والأندلس والاختلاف فيما بينها في الأساليب والمراحل التعليمية، والأصل أنها اتفقت في الهدف وفي جوهر العملية التربوية، حيث قامت على أربعة أسس وهي:

1- المعلم وهو المربي القدوة.
2- المنهج التعليمي والتربوي ومصدره الكتاب والسنة واجتهادات العلماء في النوازل الفقهية
3- الهياكل البيداغوجية، أي المؤسسات التعليمية، ونواتها المسجد، ثم تعددت وتخصصت (الكتاتيب - المدارس - الربط).
4- المتعلمون وهم الصبيان من الذكور والإناث، وحتى الكبار من الجنسين (بوعقادة، ص-321 320).

وخلاصة النظريات الخلدونية في التعليم، جعل القرآن أصل التعليم، حفظًا وقراءة وتفسيرًا، لكنه يفضل تلقين الولدان أولاً اللغة والنحو والحساب، حتى تتفتق ملكتهم في تعليم القرآن مع التركيز على إتقان فن الخط والكتابة، وفيما يلي حوصلة للقواعد التربوية والتعليمية التي اهتدى إليه العلاّمة ابن خلدون على نحو ترتيبي:

1- تفادي الاختصار في العلوم لأنه مخل بالتعليم (لا تطويل ممل ولا اختصار مخل).
2- أن يكون التعليم بالمحاورة (المشاركة) لا الحفظ وهي الطريقة الصحيحة للفهم.
3- أن يكون المربي (المعلم أو الأستاذ) صاحب علم، ملما بصناعته ومهنته، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.
4- معرفة المربي بنفسية التلاميذ وميولاتهم ورغباتهم.
5- النزول إلى مستواهم وأخذهم إلى الأعلى (الارتقاء بهم في الدرجة العلمية).
6- التأكيد على الصلة بين المؤدب والمتعلمين.
7- التنويع في التعليم من إجمال وتفصيل وتكرار وتوضيح (أي الشرح عند التدريس مراعاة لذهنية المتعلمين (أي مستوياتهم العلمية المتفاوتة)، وخلاصة القول، التدرج من السهل إلى الصعب والتبسيط في التدريس.
8- أن يبدأ من البدايات إلى النهايات ولا يأتى بالغايات في البدايات.
9- الحرص والتحبيذ في الزيارات والرحلات كعامل مهم في تلاقح الأفكار وتنوعها والانفتاح في الذهنيات لدى طلبة العلم (أي الأخذ عن شيوخ العلم في مختلف الأمصار).

10- ألا يطيل على المتعلم في المجلس الواحد، مثلما لا يحبذ الإطالة في الفواصل الزمنية بين الدروس، حتى لا ينسى المتعلم ما سبق أن درسه، حيث تكون متصلة في العلم الواحد، ولا يستحسن تعليم الطلبة علمين في آنٍ واحدٍ (ابن خلدون، ص556-558، بوعقادة، ص333-334).

كما ركّز ابن خلدون في العملية التربوية على أمرين مهمين وهما، تفادي الغلظة والشدة في التربية وتأثير الرحلة في طلب العلم حيث تزيد الكمال في التعلم (ابن خلدون، ص558، بوعقادة، ص335).

3- مناهج وأساليب التربية والتعليم في المغرب الإسلامي

سنّ علماء المغرب الإسلامي في العصور الوسطى قوانين تربوية وتعليمية شكلت في مجملها منظومة متكاملة من الإجرءات البيداغوجية ناظمة للعلاقة بين المعلم والمتعلم ومبيّنة للمواد الدراسية الضرورية من حيث أهميتها ومراحلها عبر الأطوار التعليمية ومراعية لسلم أولوياتها لضمان المردودية العلمية المبتغاة حتى تكتمل شخصية طلبة العلم وتستفيد بقدر عالٍ من الرصيد المعرفي، ولتحقيق الأهداف التربوية المرجوة، حرص المفكرون التربويون على اتباع الأساليب البيداغوجية الناجعة لتربية الأطفال وفق منظور يراعي الجوانب النفسية والاجتماعية للمتعلمين بفئاتهم المختلفة وطبقاتهم المتباينة.

وفي هذا المبحث نستعرض أراء المربين المغاربة، الذين تقدم ذكرهم وسبق التعريف بسيرهم الذاتية (محمد بن سحنون - ابن الجزار القيرواني - القابسي - ابن خلدون) متدرجين عبر المسائل المطروحة في هذا المجال.

أ- البرامج التعليمية والمواد الدراسية

يكاد يتفق علماء التربية والتعليم في المغرب الإسلامي على مبدأ تربوي مقدس، ممثلاً في جعل القرآن الكريم المصدر المعرفي الأول الذي لا غنى لطلبة العلم عنه، وقدوتهم في ذلك المعلّمون ثم تليه السنة النبوية من أحاديث وآثار، ولذلك ركّز التربويون على بيان فضائل القرآن الكريم، فذكر القابسي سردًا مطولاً من الآيات القرآنية للاستشهاد على قيمته ومنفعة قراءته ومنها قوله تعالى: «**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ...**» (سورة يوسف، الآية 2) وقوله عزّ وجل «**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**» (سورة المائدة، الآية 15-16) (القابسي، ص74-75).

وركّز محمد بن سحنون على واجب تعلم القرآن وفضل من علّمه، مستدلا بعدة أحاديث نبوية، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**خيركم من تعلّم القرآن**

وعلّمه»، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**يرفع الله بالقرآن أقواما**»، وقوله: «**من قرأ القرآن بإعرابه فله أجر شهيد**» (ابن سحنون، ص69-70، القابسي، ص76).

وقد قسّم الباحثون مواد التعليم لدى المغاربة إلى نوعين: الإجباري والاختياري:

1- المواد الضرورية والإجبارية: وتتمثل في تعليم القرآن الكريم برسمه وقراءته وحفظه بالنسبة للصبيان، وأما فئة الكبار فينضاف إليهم تفسيره وأحكام تلاوته وأبوابه الأخرى كالعقائد والأحكام والقصص، وقد تدرج وحدات تعليمية إضافية مثل الحديث والفقه.

2- المواد الاختيارية: وتشمل عدة تخصصات علمية، كاللغة العربية والنحو والشعر والحساب، وكما يبدو هي نفسها المواد الدراسية التي تعتمد في المناهج العصرية كما هو الحال بالنسبة لبلادنا بعد استقلالها خلال المرحلة الابتدائية (معتوق، ص7).

وقنّن علماء المغرب الإسلامي المناهج الدراسية بشكل محكم، بحيث تكمّل المواد المدرّسة بعضها بعضا، فمن واجبات المعلم أن يعلم التلاميذ إعراب القرآن، والقراءة الحسنة (أي اختيار أفضل القراءات المعتمدة كقراءة ورش عن نافع مثلا)، كما يسير معهم على الدربة في الترسل والخطب وأن يعلمهم الوضوء والصلاة (القواعد الفقهية الضرورية)، مع تعلم الخط الحسن ومراعاة التشكيل، ووضع ضوابط محددة كانتقاء الشعر العفيف وتجنب الفحش من كلام العرب وأخبارهم (تاريخهم في العصر الجاهلي) والقراءة المستبشعة (ابن سحنون، ص82، بوعقادة، ص327) (ربما التي لا تندرج ضمن القراءات السبع المتفق عليها بين القرّاء).

واستخلص الباحثون من مناهج التعليم الإسلامية للمغاربة في مواد التدريس بأنها تنآى عن الانغلاق وتتميز بالانفتاح، فلا تقتصر فقط على تعليم القرآن الكريم وحفظه، متوخية في ذلك احترام البعد الديني والروحي وهو أمر واجب، وإنما تتعداها إلى تعليم العلوم الأخرى واكتساب المعارف الإنسانية بما يخدم مصلحة الأمة ويحقق نهضتها وتقدمها الحضاري (معتوق، ص6، بتصرف).

ولتحقيق النجاح الدراسي المنشود للطلبة، وتنمية ملكاتهم وقدراتهم الذهنية ورفع مستواهم التعليمي، اجتهد منظرو الفكر التربوي المغاربة في اقتراح سياسات بيداغوجية فعّالة ترمي إلى وضع برامج دراسية تصنف المواد التعليمية حسب أهميتها وملائمتها لسن التلاميذ ولضمان مردوديتهم في التحصيل الدراسي والعلمي.

وفي هذا يقول ابن خلدون: «اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل الاختصاص على صنفين، علوم مقصودة بالذات (أي بذاتها) كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام... وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات وكالمنطق للفلسفة، فأما العلوم التي هي مقاصد، فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل... وأما العلوم التي هي وسيلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالهما... فلا يوسع فيها الكلام ولا تفرّع المسائل، لأن ذلك يخرج بها عن المقصود (ابن خلدون، 2010، ج1، ص461).

ولذلك فإن ابن خلدون كان يميل في تعليم الصبيان إلى تقديم اللغة والنحو والحساب أولاً ثم تحفيظ القرآن والإحاطة بعلومه، وقد سرد مذاهب بلاد المغرب في هذا المجال، فذكر «أهل الأندلس بأن مذهبهم تعليم القرآن وكتابته من حيث هو، ولما كان القرآن أصل الدين ومنبع العلوم، جعلوه أصلاً في التعليم ولا يقتصرون عليه فقط، بل يخلطون في تعليم أولادهم برواية الشعر والترسل وكذا أخذهم بقواعد اللغة العربية (النحو والصرف) وإجادة الخط والكتابة، أي أن هذه العلوم الرافدة تساعد على التحكم الجيد في قراءة القرآن برسمه وتفسيره وأحكامه وقراءته».

«وأما أهل إفريقية - المغرب الأدنى - (تونس اليوم)، فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس، حيث يخلطونه بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، فضلا عن عنايتهم بالخط، إلا أن اهتمامهم بالقرآن يأتي في سلم الأولويات. وأما مذهب أهل المغرب الأقصى ومن تبعهم من قرى البربر، الاقتصار على تعليم القرآن فقط... فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة» (ابن خلدون، ج1، ص462، ابن سحنون، ص82، بوعقادة، ص434-433).

ويبدو أن الطرح الخلدوني في فلسفة التعليم واسع الأفق، يأخذ بالاعتبار كل العلوم النافعة، بل ويقدم بعضها على حفظ القرآن، حتى تتم عملية إتقانه قراءة وكتابة وتفسيرًا، عكس بعض التيارات الدينية المعاصرة الراكدة التي تستهجن العلوم العقلية بحجة العناية بالعلوم الشرعية، وهو ما يتنافى مع رحابة الإسلام التي تتسع لكل العلوم على اختلاف أنواعها إذا كانت تحقق للأمة المصلحة العامة.

ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي (ت543هـ/1148م) إلى منهج مرن في برمجة علوم التمدرس مراعيا التقديم والتأخير، لحصول المكنة العلمية لدى طالب العلم، فقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم... لأن الشعر ديوان العرب... ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرّن فيه حتى يرى القوانين ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسّر عليه بهذه المقدمة ثم قال «ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره، يقرأ ما لا يفهم...» (ابن خلدون، ج1، ص463). وأردف ابن العربي هذا التوجه بالإلتفات إلى الحديث حفظًا دون الغوص في علم الرواية والدراية، مفضلاً صحيح البخاري ومسلم، ورغم ثناء ابن خلدون على طريقته وأخذه بها، إلاّ أنه يتحفظ منها لاعتراضها مع التقاليد التربوية السائدة آنذاك في بعض الجهات (كالمغرب الأقصى) والتي تضع تعليم القرآن في أعلى الهرم الدراسي، ولكن ابن العربي يفسر ذلك بأن العصر الأول (عصر النبوة) كانت العرب تعرب العربية سليقة وهي عالمة بدلالة ألفاظها، أما في عصره (القرن 6هـ/12م) فغير ذلك، فإذا كان البدء بالقرآن صالح في العهد الأول فهو ليس كذلك في عصره، بفعل اختلاط الأجناس والبعد عن المنبع الأصلي للغة العربية وصار لزاما أن يبدأ الصبي

بالعربية ثم الحساب، ومكمن فائدته هو تنمية الملكة الفكرية والذكاء لدى الطفل (بوعقادة، ص332-331).

وهذا لا يعني البتة بأن ابن العربي أو ابن خلدون لا يعيران لتعليم القرآن وزنًا أو ينتقصان من قيمته، فلا تعدو أن تكون المسألة مجرد عملية تربوية تنظيمية، وتأكيدًا لهذا أورد ابن خلدون في مقدمته ما معناه: «اعلم أن تعليم الولدان للقرآن من شعائر الدين، أخذ بها أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغير أشدُّ رسوخًا وهو أصلٌ لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات» (بوعقادة، ص337). فالنص يظهر بما لا يدع مجالاً للشك مدى اعتبار ابن خلدون تعليم القرآن الكريم ضرورة حتمية، وبالطبع مع مراعاة التقديم والتأخير، فالعبرة ليست في المظهر والشكل وإنما في كيفية ونوعية التعليم المقدم للصبيان.

ب- شروط وواجبات المعلم وحقوقه

إن أول المعلمين، هم الأنبياء والرسل، ومن هنا كانت مهنة التعليم شريفة، وكاد المعلم أن يكون رسولا، فالإسلام أعطى مكانة مميزة للعلماء والمعلمين وللعلم قبل كل شيء، «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» (سورة يونس، الآية 76)، وقال تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (سورة فاطر، الآية 28)، وبالتالي وجب على المعلم والمربّي أن يكون قدوة ونموذجًا يحتذي به الطلبة في الخلق الكريم والحرص على التعليم وحتى يؤدي الرسالة التربوية المنوطة به على أحسن وجه، فلا بد أن يتحلى بجملة من الخصائص المتميزة وأن يتصف بالسلوكات القويمة، وينهض بأداء واجباته وفق المعايير والشروط المحددة في المنظومة التربوية الإسلامية التي حدّد حيثياتها ومعالمها علماء التربية والتعليم المسلمون عامة والمغاربة محل دراستنا خاصة، والتي نجملها حسبما استجمعناه من كتبهم البيداغوجية فيما يلي:

1- أن يكون المعلم على مستوى من الثقافة، ملمًا بالعلوم التي يدرسها وهاضمًا لموضوعاتها، فكيف نتصور معلما ناجحًا إذا كان جاهلاً بما يُلقِّن، وأقل درجة علمية يحوزها، حفظ كتاب الله وأن يكون في تدريسه مكينًا من الفقه (ابن سحنون، ص82، ابن خلدون، ج1، ص462-463). وأحسن برهان على تركيز مفكري التربية المغاربة على ذلك مطالبتهم المعلمين تدريس مواد علمية دقيقة تحتاج إلى بحث وإحاطة، فإلمام المدرّس باللغة والنحو والإعراب والشعر - الذي هو ديوان العرب - وكذا علم الحساب والفقه وعلوم القرآن من قراءة ورسم، دليل عملي على ثقافته الواسعة والموسوعية وهو ما أوضحه محمد بن سحنون وابن خلدون فيما سبق ذكره (ابن سحنون، ص83-93).

2- أن يتفرغ المعلم للتدريس بتعليم الصبيان مع متابعة دروسهم حتى يؤدي مهامه التربوية على أكمل وجه، ومن مظاهر الجدية في تأدية واجبه المهني ألاّ يقتصر في تدريسه على الإملاء وتكليف التلاميذ بالحفظ، بل يعلّمهم الكتابة ويجعل لهم وقتًا لذلك (وقت الضحى)، كما يتابع دروسهم بالمراجعة، وهو ما أكد عليه ابن سحنون عندما قال: «وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض، ويجعل لعرض القرآن وقتًا معلومًا مثل يوم الخميس وعشية الأربعاء... وذلك سُنَّة المعلمين... وليتفقد إملاءهم...» (ابن سحنون، ص79-93).

وفي حالة تقاعس المعلم عن واجبه المهني، كأن يكون التحصيل الدراسي للتلاميذ ضعيف وخصوصًا في قراءة القرآن، «فإذا ساءت قراءة الصبي ولم يفهم حروف القرآن، حرم المعلم من أجرته، وأُدّب،ومنع من التعليم إذا عرف بهذا وظهر تفريطه... بل سقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم إلاّ من عصم الله» (ابن سحنون، ص85-87، معتوق، ص8، بوعقادة، ص337).

-3 أن يلتزم المعلم في سلوكه بمنهج الإسلام ويطبق تعاليمه وحتى يكون قدوة وأسوة حسنة لطلابه وجب عليه التحلي بالأخلاق الكريمة، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضلكم إيمانا أحسنكم أخلاقًا» وبالتّالي يقتفي الصبيان أثره ويبتعدون عن الانحراف، ولتحقيق حسن السلوك والخلق الرفيع، حدّد محمد بن سحنون جملة من الضوابط الشرعية يتعين على المعلم أن يلقنها لطلبته حيث قال: « يعرفهم عظمة الله وجلاله، - أي يعلمهم التوحيد - ... وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشرة... ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة... وعدد ركوعها وسجودها والقراءة فيها، والتكبير وكيفية الجلوس، والإحرام والسلام، والتشهد والقنوت في الصبح، فإنه من سنّة الصلاة، لذا وجب على المعلم أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين، والاستسقاء والخسوف، حتى يعلمهم دينهم وسنة نبيهم... وليتعاهدهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله...» (ابن سحنون، ص85).

ولأهمية هذا الموضوع خصص القابسي في كتابه الرسالة المفصلة، قسمًا قائمًا بذاته يتحدث فيه بإسهاب عن الإسلام والإيمان والإحسان والاستقامة وماهية وكيفية صفة الصلاح (القابسي، ص59).

-4 ومن واجبات المعلم ومسؤولياته التربوية، أن يعلم الصبيان بالسواء، الشريف والوضيع وإلاّ كان خائنا للأمانة، حيث خصص العلاّمة محمد بن سحنون في ذلك مبحثًا قائما بذاته بعنوان»العدل بين الصبيان»، في المعاملة والتدريس، مستندًا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيّما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة، فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم، حُشر يوم القيامة مع الخائنين» وكإجراء عقابي للمعلم المتعسف والمقصر الذي لم يعدل بينهم - أي الصبيان - تقطع عنه الأجرة وجوبًا وكتب من الظلمة (ابن سحنون، ص87-74، بوعقادة، ص326).

5- الحرص على مجيء المتعلمين في أيامهم الدراسية وحضور الحصص التعليمية أو ما يصطلح عليه اليوم بالمتابعة والمراقبة البيداغوجية لطلبة العلم وإلزامهم بالمواظبة، وفي حالة غياب الصبيان يجب على المعلم تسجيل الغياب والتصريح به والاتصال بأوليائهم، لمعرفة الأسباب والاطلاع على مشاكلهم ووضعيتهم الاجتماعية، حتى يتسنى له تكييف الطرائق التعليمية مع هذه الوضعيات، حيث يجب أن تكون العلاقات بين المدرسة وأسرة المتعلم متواصلة، وعلى المعلم أن يقوم بدور الأب في التربية، وهو ما يؤكده محمد بن سحنون في آدابه للمعلمين بقوله: «وليتعاهد الصبيان بنفسه في وقت غيابهم ويخبر أولياءهم أنهم لم يجيئوا» (ابن سحنون، ص84، معتوق، ص8).

6- أن يتعهد المعلم بنفسه الإشراف على استقبال المتعلمين ولاسيما بعد انصرافهم إلى ديارهم درءًا لتعرض الصبيان للمخاطر كالاعتداء أو الضياع أو الخطف أو التحرش الجنسي بهم، وعليه يتعين على المدرسة والأسرة التربوية برمتها توفير أجواء الأمان للمتمدرسين وعدم السماح لهم بالخروج إلى الشارع بعد نهاية الحصة، بل يجب تسليمهم للأولياء تفاديًا لأي مكروه، قال محمد بن سحنون: «لا يجوز أن يرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض»، وأن يتكفل المعلم شخصيا بسلامة خروجهم من المدرسة وانصرافهم إلى منازلهم معافين من كل أذى (ابن سحنون، ص80، معتوق، ص8).

7- ويشترط في المعلم أن يكون متزوجًا وإلاّ زوجوه ليشعر بحجم المسؤولية وليحصن نفسه ويرزق بالأولاد كالذين يشرف على تدريسهم، فيعطف عليهم ويعاملهم برفق وليونة.

8- أن يراعي المعلم ارتداء الزي واللباس المناسب لمهنته ومقامه كالبرنوس الأبيض أو القشابية أو جلابة وسروال فضفاض وأن يكون مغطى الرأس بعمامة، إذ العمامة شرط وجوب وصحة وفي الكُتّاب (أي المدرسة الابتدائية وجمعها كتاتيب) لا يعتبر المعلم معلمًا مهاب الجانب إلاّ إذا حمل درّة تفرض النظام، ويقتدي المتعلم بمعلمه في اللباس والجلوس، بالإضافة إلى الحضور باكرًا وخلاصة الفكرة مراعاة المعلم للهندام التربوي ولكل عصر ملابسه اللائقة والمظهر المحترم كي يحظى بتقدير المتعلمين وطاعتهم.

ج- الممنوعات التي يجب على المعلم اجتنابها

حدّد علماء التربية المغاربة جملة من الضوابط الناظمة للعملية التعليمية تعد الشق الثاني من المعادلة المدرسية، بعد الواجبات التي تكلمنا عنها، وتتمثل في المحظورات التي يتعين على المعلم أن يتجنبها لإنجاح العملية التربوية وتتلخص فيما يلي:

1- عدم تقاعس المعلم عن أداء واجبه المهني ولا يجوز له إهمال الصبيان، وفي هذا يقول ابن سحنون: «ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلاّ أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه (خارج أوقات الدراسة وعرض المتعلم)، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم (ابن سحنون، ص80، معتوق، ص9).

2- لا يجوز للمعلم أن يرسل الطلبة (الصبيان) في طلب بعضهم بعضا، إلاّ أن يأذن له آباؤهم أو أولياء الصبيان في ذلك، أو تكون المواضع قريبة، بحيث لا ينشغل الصبي في ذلك عن دراسته (ابن سحنون، ص80).

3- ينبغي عليه (أي المعلم) الاجتهاد وأن يتفرغ للصبيان، ولا يجوز له الصلاة على الجنائز إلاّ فيما لا بدّ له ممن يلزمه النظر في أمره (ويقصد الأقارب من العائلة)، وذلك لأنه أجير لا يدع عمله، ولا يتبع الجنائز ولا عيادة المرضى (ابن سحنون، ص81).

4- لا يجوز للمعلم أن يكتب لنفسه كتب الفقه أو لغيره، إلاّ في وقت فراغه من الصبيان، فلا بأس أن يكتب لنفسه وللناس، أي بعد انصراف المتعلمين وأما ما داموا حوله فلا (ابن سحنون، ص82)، عكس ما نراه في مؤسساتنا التربوية اليوم، حيث يعزف بعض الأساتذة عن تدريس تلامذتهم منشغلين بقراءة الجرائد أو يأتون بأعمالهم العلمية الخاصة لإنجازها في أوقات عملهم على حساب تعليم الطلبة.

5- لا يجوز أن يعلمهم ألحان القرآن، لأن الإمام مالك لا يجوّز أن يقرأ بالألحان لأنه يشبه الغناء، ولا ينبغي أن يعلمهم التحبير (هي كل نغمة حسنة)، لأن ذلك داعية إلى الغناء وهو مكروه (ابن سحنون، ص83، القابسي، ص120-119)، لأن قراءة القرآن بالألحان لا تعني التلاوة بالأحكام، وإنما هي أصوات غنائية أدخلت على قراءة القرآن وانتشرت في أواخر ق 2هـ/8م ببغداد، حيث ازدهرت مدرسة الموسيقى، واشتهر في العصر العباسي من القراء الملحنين محمد بن سعيد الترميذي وكان ذلك في عهد الخليفة المتوكل وكان صديقا لإسحاق الموصلي، وقد رفض علماء الإسلام هذا النوع من القراءة (بوسعد، ص281-280، Mohamed Talibi, 1958, p183-185-187)، ونستخلص من هذا الحظر حرص المعلم على التربية الأخلاقية قبل كل شيء حتى التعليم والتلقين فهي أسبق عليه، وهي دعوة إلى أطفال وشباب اليوم الابتعاد عن اللّغو والعبث ومجالس اللهو والغناء والنصيحة موجهة إلى المعلمين بالدرجة الأولى.

6- لا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان من أجل قضاء حوائجه (ابن سحنون، ص85)، أي مصالحه الخاصة، وفي هذا يستشهد البروفيسور جمال معتوق الباحث المختص في علم الاجتماع ببعض المظاهر السلبية من هذا القبيل، السائدة في مدارسنا الابتدائية، حيث يعمد بعض المعلمين إلى استغلال التلاميذ، فبدلاً من تركهم يركزون على التعلم يكلفهم المعلمون ببعض المهام التي لا تمت بصلة إلى التعليم، كشراء غذائهم أو اقتناء السجائر والجرائد. كما نجد بعض المعلمين والمعلمات بدلاً من القيام بدورهم التعليمي، يكلفون التلاميذ بالحراسة أو إدارة الصف، وينغمسون في الكلام الفارغ ويخوضون في الدردشة وغيرها من السلوكات غير البيداغوجية (معتوق، ص10-9).

7- يمنع الاختلاط في التعليم بين الذكور والإناث، وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهم (ابن سحنون، ص89-85)، وحسب نظرنا فإن الاختلاط

في الطور الابتدائي لا مضرة فيه، لصغر سن المتعلمين، ويستحسن أن يبدأ ذلك في المرحلة المتوسطة والثانوية، وقد كان التمييز بين الجنسين سائدًا في مؤسساتنا التعليمية الثانوية بعد الاستقلال وكان أسلوبًا بيداغوجيا وأخلاقيا ناجعا ظهرت ثمراته في الارتقاء بمستوى التعليم آنذاك.

-8 لا يجوز للمعلم أن يعلّم أولاد النصارى القرآن ولا الكتب (ابن سحنون، ص87)، (وهذا مستبعد) وربما أيضا يمنع اليهود من ذلك ولو لم يذكرهم ابن سحنون، ونخالفه في مسألة تعليم أهل الكتاب العلوم الأخرى، فهو في نظرنا أمر جائز فوجد منهم اللغويون والأطباء والمترجمون والجغرافيون والفلاسفة. وقد أثار القابسي هذه القضية أيضًا، معتمدًا على رأي الإمام مالك: «لا أرى أن يترك أحد من اليهود والنصارى يعلم المسلمين القرآن، كما لا يجوز للمسلم أن يعلمه النصراني، ولا يسمح بإرسال أطفال المسلمين إلى كُتّاب (المدرسة الابتدائية) العجم بغرض تعليمهم (القابسي، ص120)، ويقصد بهم ربما الفرس أو الروم، والمسألة فيها نظر، وخاصة إذا كان الهدف نشر الإسلام، ففي هذه الحالة فلا مانع من تعليم أهل الذمة كتاب الله قصد دعوتهم إلى دين الله. كما يجوز للمسلم أن يتعلم عن أهل الكتاب العلوم النافعة، وليس من مانع أن يدرس في مؤسساتهم التعليمية.

ومع كل هذه الممنوعات إلا أن المعلم يتمتع بكثير من الحقوق والامتيازات، ولعل منها تقاضيه لراتب ثابت يكفل معيشته، وقد ذكر ابن سحنون حق المعلم على أولياء الأبناء في الاستفادة من الأجرة لقاء جهده في التعليم، ويكون هذا الاستحقاق وفق شروط معلومة بين المعلم والأولياء، يتفق عليها مسبقًا إما عند الختم أو عند حلول كل شهر أو في كل سنة، وهناك من المفكرين التربويين المغاربة من جعل الأجرة مقصورة فقط على تلقين القرآن، أما الفقه والشعر والنحو فإنها تسقط عن المعلم (ابن سحنون، ص94-90)، وبالطبع فإنها قوانين مقدرة بزمانها ولا نظن أن المعلم في القرون اللاحقة عندما ظهرت المدارس الكبرى قد تخلى عن حقه في الحصول على المقابل في مهنته فلا يعقل أن يدرس مجانًا.

وعليه فالمعلم هو شخص مأجور يتقاضى أجرًا جزاء خدمته ولهذا فهو مطالب بأداء واجبه على أحسن وجه وعدم الانشغال في مهام أخرى غير مهنة التعليم أثناء عمله (معتوق، ص9).

وفي آخر هذا المبحث نذكر بأن القائم على مراقبة المعلم ومحاسبته عند ارتكابه الممنوعات، إنما هو المحتسب، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروفة بنظام الحسبة، فإلى جانب وظيفة المحتسب في مراقبة الأسواق وضبط الأسعار والتأكد من جودة المنتوجات ومعرفة المكاييل والموازين، وتعيير العملة وقمع الغش في البضائع والسلع، تناط به مهام وصلاحيات أخرى ومنها مراقبة مؤدبي الصبيان ومعلمي السباحة، بحيث يمنع المتطفلين على العلم من التدريس حتى لا يضللوا الناس ويزور الكتاتيب

(المدارس الابتدائية) ليتأكد من سلامة المباني ومن معاملة المدرسين لتلاميذهم، ويشترط في المحتسب أن يكون عالما وعادلاً لينًا في غير تراخٍ، وشديدًا في غير عنف (بوسعد، 2009، ص87-84).

4- التنظيم البيداغوجي للنشاط التربوي والتعليمي في المغرب الإسلامي من خلال كتب التربية والتعليم في العصور الوسطى

ونحن نقوم بهذا الدراسة، لفت نظرنا في كتب التربية والتعليم للعلماء المغاربة قضايا بيداغوجية في غاية الأهمية، آثرنا أن نستجمع شتاتها بين أطواء تلك المؤلفات القيّمة والمتميزة والنادرة، ونشكل منها منظومة من المعلومات البيداغوجية والقوانين التربوية والمناهج التعليمية المحكمة، والمتأمل في حيثياتها يدرك بما لا يدع مجالاً للشك بأنها أفكار متطورة وسابقة لعصرها، تدل على عبقرية المفكرين التربويين المسلمين من المغرب الإسلامي، الذين طالما غيّبوا عن قصد أو غير قصد من المساهمة في ازدهار الحضارة الإسلامية في هذا الحقل العلمي والتخصص التربوي، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه التجارب الناجحة والأفكار الخلاقة من أجل النهوض بقطاع التربية والتعليم وإصلاح القوانين الكلاسيكية وتجاوز الرتابة في تسيير هذا القطاع والقضاء على التبعية الخارجية في تبني المشاريع الإصلاحية المستوردة، والحرص على تربية النشئ، طليعة المستقبل والعودة إلى أصالتنا العربية الإسلامية والاغتراف من منابع حضارتنا العريقة التي لا تنضب رغم عوادي الزمن وغوائل الإيديولوجيات العقيمة والدخيلة على مجتمعنا ولكن دون انغلاق، أي الانفتاح على التجارب الصالحة والمفيدة.

وفيما يلي حوصلة لأهم القضايا البيداغوجية الواردة في الكتب التربوية المغاربية:

1- توفر شرط الاجتهاد العلمي لدى المعلم وموسوعيته أي إلمامه بعدة علوم (ابن سحنون، ص82-81، القابسي، ص115-113، ابن خلدون، ج1، ص462)، المتكون معرفيا، والمشبع بالقيم التربوية والأخلاقية، أي انتقاء المواهب والكفاءات التي من شأنها تقديم مزيد من العطاء العلمي والرفع من مردودية التعلم لدى الصبيان.

2- ضرورة تعليم الصبيان في المؤسسات التعليمية وهي في ذلك الوقت «الكتاتيب»، وتعد بمثابة مدارس ابتدائية بمفهوم العصر، فلا يتعلمون في المساجد، لأنهم لا يتحفظون من النجاسة وقرر بذلك ابن سحنون أن يبعد الصبيان عن المساجد إلى غاية أن يكبروا، لتجنيب المسجد الفوضى التي قد يحدثها الصبيان، بل نجد أن بعض المتأخرين قد تشددوا في هذا وأفتوا بعدم جواز تعليمهم في المساجد سواء كانت عامرة أم فارغة (ابن سحنون، ص87، بوعقادة، ص328)، حفاظا على طهارة المساجد وجعلها أماكن للعبادة ومراكز للعلم بالنسبة للكبار، ومن أجل هذه الاعتبارات منع الإمام مالك النوم

والأكل فيها إلا للضرورة القصوى لفئات معينة كالغرباء والمسافرين والمحتاجين الذين لا يجدون موضعًا يلجأون إليه (ابن سحنون، ص87).

3- منع الأذى بين المتعلمين، بمعنى التصدي للعنف داخل المدارس وفرض الانضباط والنظام العام، ومن ذلك تأديب الصبيان على إفراطهم في اللعب والبطالة (الإعراض عن الدراسة والغياب) (ابن سحنون، ص76-89).

4- يحق للمعلم أن يجعل «عريفًا» للصبيان، إن كان مثله في نفاذه العلمي والتربوي ومحققا لمنفعة المتعلم، وخصوصًا إذا كان هذا المتعلم «العريف» قد ختم وعرف القرآن وهو مستغنٍ عن التعليم، وهو ما يعرف اليوم بـ: «ممثل التلاميذ والطلبة»، ولكن هذا لا يسوّغ للمعلم أنْ يأمر أحدًا أن يعلم أحدًا منهم إلاّ أن يكون في ذلك منفعة للصبي في تخريجه (ابن سحنون، ص90-91)، وهي طريقة بيداغوجية عزّ نظيرها تدل على العلاقة التكاملية بين المعلم والمتعلم والعملية التشاركية في الأداء التربوي (تقترب من نظرية المقاربة بالكفاءات في عصرنا والتي تدعو إلى جعل التلميذ محور العملية التربوية).

5- تعليم البنات انطلاقا من القاعدة الشرعية المتفق عليها وهي أن التكاليف الدينية واجبة على الرجل والمرأة، وذهب القابسي إلى ضرورة تعليم المرأة بشرط منع الاختلاط وأن تجنب البنت تعلّم الشعر والترسل لأن ذلك مدعاة إلى التهالك (القابسي، ص-95 89، بوعقادة، ص329). والأرجح جواز الاختلاط بين الصغار ومنع الخلوة بين الكبار، كما يجوز للبنت تعلم الشعر والترسل إذا كانت ناضجة و محصنة دينيًا مع الحرص على العفة والأخلاق.

6- ضبط نظام الدراسة وذلك بتحديد أيام للتدريس وأخرى للعطل، فجعل القابسي كل أيام الأسبوع للدرس ما عدا النصف الثاني من يوم الخميس ويوم الجمعة وخصص مساء يوم الأربعاء للمراجعة والتذكير والتدقيق، وتكون أوقات الدراسة منظمة على النحو التالي، ففي أول النهار إلى الضحى لحفظ القرآن، ومن الضحى إلى الظهر تعليم الكتابة، وعند الظهر ينصرف الأبناء لتناول غذائهم، ثم يعودون بعد صلاة الظهر لدراسة النحو والحساب والشعر، وهنا يتفق مع محمد بن سحنون باعتبارهما من مدرسة واحدة وهي المدرسة المالكية المغربية (القابسي، ص126، بوعقادة، ص330).

وفي سياق تنظيم العطل الدراسية، تخصص للمتعلمين عطلاً مرتبطة بالمناسبات الدينية والمتمثلة في الأعياد، ففي عيد الفطر يستفيد الصبيان من راحة تقدر بين يوم وثلاثة أيام، أما عيد الأضحى فمناسبتها تسمح للمتعلمين بقضاء عطلة تتراوح بين ثلاثة أيام إلى خمسة أيام (ابن سحنون، ص80، بوعقادة، ص327-328).

وهكذا قننت المنظومات التربوية المغربية في العصور الإسلامية الوسطى حق العطلة للمتعلمين مراعية المناسبات الدينية والاعتبارات النفسية للطلبة والجوانب الاجتماعية، توخيا لمصلحة الأسرة التربوية بهدف إنجاح العملية التعليمية، فالراحة ضرورة للجسم

والعقل لتجديد الطاقة والقدرة على مواصلة المشوار الدراسي وبلوغ التفوق من خلال توفير أوقات مستقطعة للمراجعة وأداء الواجبات المنزلية المكلفة من قبل المعلمين لاختبار قدرات تلاميذهم.

-7 الإجراءات التأديبية للصبيان، أو ما يسمى بالعقاب التربوي، وفي هذا الصدد، أجاز محمد بن سحنون للمعلم أن يعاقب التلميذ إذا استحق العقوبة، شريطة أن ينآى الأستاذ بجانبه عن التعنيف المفرط والابتعاد عن الدوافع الانتقامية، وأن تكون الغاية تصحيح الاعوجاج وتوجيه النصيحة للمتعلم (ابن سحنون، ص76، ابن الجزار، ص136 وما بعدها، بوعقادة، ص330-329-327).

وعلى غراره سار القابسي الذي سوّغ للمعلم استعمال التأديب التربوي مع المتعلم (يلاحظ استعمال مصطلح الأدب مع الصبيان بدل العقاب) ولكن لأسباب موضوعية، كالعزوف عن أداء الواجب المدرسي من حفظ وكتابة أو سوء أدب مع المعلم أو إحداث الفوضى والشغب في «الكُتّاب» (المدرسة)، أو إلحاق الأذى بزملائه التلاميذ (القابسي، ص170).

وكلاهما - ابن سحنون والقابسي - وضع ضوابط لتأديب الصبيان، نلخصها فيما يلي:

- يكون الضرب من واحد إلى ثلاثة فإذا جاوز ذلك استأذن الولي، وألا يتجاوز العشرة درر.
- عدم توكيل الصبيان بضرب بعضهم، لأن التأديب و الضرب من الصلاحيات البيداغوجية للمعلم.
- يكون الضرب على الرجلين دون بقية الأعضاء ويمنع ضرب رأس الصبي منعًا باتًا (مسألة يلح عليها محمد ابن سحنون).
- آلة الضرب هي الدرّة أو الفلقة.
- عدم منع الصبي من تناول الطعام والشراب (أي حظر التأديب الغذائي) كإجراء عقابي.
- الأصل أن يستعمل المعلم مع الصبيان المعاملة الحسنة ويتواصل معهم بالرحمة والشفقة (مسألة ركز عليها ابن الجزار القيرواني في كتابه سياسة الصبيان).
- لا يجوز للمعلم أن يضرب في حالة الغضب، تفاديًا لإلحاق الأذى الجسدي بالمتعلم.
- أن يكون الضرب آخر الحلول وليس أول الدواء الكيّ.
- أن يضرب الصبي لمنفعته وليس بدافع انتقامي من المعلم.
- على المعلم أن يؤدب المتعلمين إذا آذى بعضهم بعضًا وأن يسعى جاهدًا لمنع حصول الأذى بينهم (ابن سحنون، ص76-77-78-81، القابسي، ص 128-129-130-170 وما بعدها، ابن الجزار، ص137 وما بعدها).

5- الكتاتيب (المدارس الابتدائية) كأماكن لتعليم الصبيان وسياستها التربوية والتعليمية

تعتبر الكتاتيب من أهم المؤسسات التعليمية، التي اختصت بتعليم الصبيان، الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتجنيب المساجد منهم، لأنهم يسودون حيطانها وينجسون أرضها ويثيرون الفوضى فيها، ويرى بعض الباحثين أن هذا النوع من دُورِ العلم قد عرف منذ أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - (أحمد عبد الرزاق، 1997، ص21 وما بعدها)، وأما في المغرب الإسلامي فقد تزامن تأسيسها مع فترة الفتوحات الإسلامية خلال ق 1هـ/7م وقد أشرنا في هذه الدراسة أن مصطلح الكتاتيب قد اقترن مع قدوم الصحابي سفيان بن وهب في زمن فتوحات حسان بن النعمان سنة (78هـ/697م)، وانتشرت بعد ذلك خلال عصر الولاة والدويلات في ق 2هـ/8م وما تلاه بازدهار الحركة التعليمية وتطور الأساليب التربوية منذ ق 3هـ/9م.

وكانت هذه الكتاتيب تمارس نشاطها تحت إشراف الدولة، وعادة ما تلحق بالمساجد، وتخضع طرق التربية والتدريس في هذه المؤسسات التعليمية لمراقبة جهاز الحسبة بإشراف المحتسب، وهو بمثابة مفتش التربية والتعليم في عصرنا.

وقد أحصى ابن حوقل في «كتابه صورة الأرض» وهو رحالة وجغرافي من ق 4هـ/10م، عاصر الدولة الفاطمية بالمغرب، وزار الأندلس، ما يقرب من ثلاثمائة كُتَّاب بجزيرة صقلية، كان معلموها يحظون باحترام وافر (أحمد عبد الرزاق، ص23-22، بوعقادة، ص340).

وحفلت كتب التربية والتعليم محل اعتماد دراستنا عليها بالإشارات الكثيرة إلى الكتاتيب والدور المنوط بها، مما يدل على وفرة عددها بالمغرب الأدنى وكذا تطور حركة التعليم بمناطقها ولاسيما مدينة القيروان وغيرها من حواضر المغرب الإسلامي (ابن سحنون، ص81-80 وما بعدهما، ص95، القابسي، ص134-120-115-110-94).

خاتمــة

وبهذا نختتم دراستنا المتواضعة التي أثبتت بالأدلة التاريخية مدى ازدهار الفكر التربوي المغاربي في العصر الإسلامي وعلامة هذا الازدهار ظهور أقطاب من المنظّرين في هذا الحقل، ساهمت مؤلفاتهم في تشكيل منظومة من الأفكار التربوية والتعليمية التي تعكس مدى نضج المعلمين ونجاح المتعلمين في مسارهم الدراسي بفضل نجاعة المقررات الدراسية وأهمية السياسات البيداغوجية المعتمدة، ويعتبر إنشاء الكتاتيب وانتشارها علامة فارقة في سياسة شيوع التعليم بين أبناء سكان المغرب الإسلامي وقرينة على انعدام ظاهرة تفشي الأمية والفشل المدرسي ولله الحمد والمنة.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1. ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة، ط1، بيروت، لبنان، 1965.
2. أبو بكر المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوش ومراجعة العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994، ج1.
3. ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيت الحكمة، ط1، قرطاج، تونس، 2009.
4. أبو الحسن علي القابسي: الرسالة المفصلة، تحقيق أحمد خالد، الشركة التونسية للتوزيع، ط1، تونس، 1986.
5. الدباغ وابن ناجي: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي ومحمد ماضور، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، ج2، ذكر بأن الناس كانوا يحلقون عليه بعد حلقة أبيه، وكان من أكثر الناس حجة، وكان يناظر أباه.
6. عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، دار الفكر، ط1، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
7. عبد الرحمن ابن خلدون: المقدمة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ج1.
8. عبد الرحمن الشيزري: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق الباز العريني، ط1، القاهرة، مصر، 1946، وبخصوص مسألة الضرب وطريقتها، فقد فصلت فيها كتب الحسبة، فلا يضرب صبيا بعصى غليظة تكسر العظم ولا رقيقة لا تؤلم الجسم بل تكون وسطا، ويعتمد بضربه الألايا والأفخاذ وأسافل الرجلين، لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة.
9. ابن عذاري المراكشي: البيان المُغْرِب في أخبار الأندلس والمَغْرِب، تحقيق ج. س. كولان وليفي بروفنسال، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ج1.
10. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج2.
11. محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تحقيق د. محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981.

ب- المراجع

12. أحمد عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، مصر، 1997.

13. عبد السلام أحمد الكنوني: المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، مكتبة المعارف، ط1، الرباط، المغرب، 1981، ج1.
14. أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، فرقة البحث العلمي، جامعة الجزائر، ط1، الملكية للطباعة، الجزائر، 1995.
15. الطيب بوسعد: دراسة تحليلية لكتاب «الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي» - نشأتها وتطورها - للأستاذ الدكتور موسى لقبال - رحمه الله - «كتاب أشغال الملتقى الوطني « دراسات تاريخية تخليدا لروحي الأستاذ الدكتور موسى لقبال وطالبته الأستاذة المرحومة سامية سليماني، 30-29 أفريل 2009، دار هومة، ط1، الجزائر، 2010.
16. محمد أسعد طلس: التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1957.

ج- المقالات

17. أ.د. جمال معتوق و د. كريم شويمات: الفكر التربوي عند ابن سحنون، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 12، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة علي لونيسي، البليدة 2، جانفي 2015.
18. صالح محمد فياض أبودياك: تعريب المغرب إبان الفتوحات الإسلامية إلى نهاية بني الأغلب، مجلة المؤرخ العربي، العدد 30، إتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العراق، 1986.
19. عبد القادر بوعقادة: دور علماء الغرب الإسلامي في مجال التربية والتعليم، مجلة التاريخ العربي، العدد 56، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المغرب، 2011.
20. Ben M'rad Ibrahim : Hommage à ibn al djazzar, IBLA, Tunis, n°151, 1983.
21. Gérard Lecomte : Le livre des règles de conduite des maitres d'écoles par ibn Sahnoun, revue des études islamiques, librairie orientale, Paris, 1953.
22. Mohamed Talibi: La qiraâ bi -Alhan, dans Arabica, Leiden, Holand, 1958.

د- الرسائل الجامعية

23. الطيب بوسعد: الحياة الثقافية والعلمية في الإمارة الأغلبية وعلاقاتها بالخلافة العباسية (296-184هـ/ 908-800م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، تحت إشراف أ. د. عبد العزيز فيلالي وبمساعد أ. د. قويدر بشار، جامعة الجزائر، 2003.